

تفسير ابن كثير

يخبر تعالى أنه يأمر عباده بالعدل وهو القسط والموازنة ويندب إلى الإحسان كقوله تعالى { وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين } وقوله : { جزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله } وقال : { والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له } إلى غير ذلك من الآيات الدالة على شرعية العدل والندب إلى الفضل وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس { إن الله يأمر بالعدل } قال : شهادة أن لا إله إلا الله وقال سفيان بن عيينة العدل في هذا الموضع هو استواء السريرة والعلانية من كل عامل عملا والإحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته والفحشاء والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريرته .

وقوله : { وإيتاء ذي القربى } أي يأمر بصلة الأرحام كما قال : { وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا } وقوله : { وينهى عن الفحشاء والمنكر } فالفواحش المحرمات والمنكرات ما ظهر منها من فاعلها ولهذا قال في الموضع الآخر : { قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن } وأما البغي فهو العدوان على الناس وقد جاء في الحديث [ما من ذنب أجدد أن يعجل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم] وقوله : { يعظكم } أي يأمركم بما يأمركم به من الخير وينهاكم عما ينهاكم عنه من الشر { لعلكم تذكرون } وقال الشعبي عن شتير بن شكل : سمعت ابن مسعود يقول : إن أجمع آية في القرآن في سورة النحل { إن الله يأمر بالعدل والإحسان } الآية رواه ابن جرير وقال سعيد بن قتادة قوله : { إن الله يأمر بالعدل والإحسان } الآية ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه إلا أمرا به وليس من خلق سيء كانوا يتعابرونه بينهم إلا نهى الله عنه وقدم فيه وإنما نهى عن سفاسف الأخلاق ومذامها (قلت) ولهذا جاء في الحديث [إن الله يحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها] .

وقال الحافظ أبو يعلى في كتاب معرفة الصحابة : حدثنا أبو بكر محمد بن الفتح الحنبلي حدثنا يحيى بن محمد مولى بني هاشم حدثنا الحسن بن داود المنكدر حدثنا عمر بن علي المقدمي عن علي بن عبد الله بن عمير عن أبيه قال : بلغ أكرم بن صيفي مخرج النبي صلى الله عليه وسلم فأراد أن يأيته فأبى قومه أن يدعوه وقالوا : أنت كبيرنا لم تكن لتخف إليه قال : فليأته من يبلغه عني ويبلغني عنه فانتدب رجلا فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقالا : نحن رسل أكرم بن صيفي وهو يسألك من أنت وما أنت ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : [أما من أنا فأنا محمد بن عبد الله وأما ما أنا ؟ فأنا عبد الله ورسوله] قال : ثم تلا

عليهم هذه الآية { إن ا ﻻ يأمر بالعدل والإحسان } الآية قالوا : اردد علينا هذا القول فردده عليهم حتى حفظوه فأثيا أكثم فقالا أبا أن يرفع نسيه فسألنا عن نسيه فوجدناه زاكي النسب وسطا في مضر – أي شريفا – وقد رمى إلينا بكلمات قد سمعناها فلما سمعهن أكثم قال : إنني أراه يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن ملامتها فكونوا في هذا الأمر رؤوسا ولا تكونوا أذنا با وقد ورد في نزولها حديث حسن رواه الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الحميد حدثنا شهر حدثني عبد ا بن عباس قال : بينما رسول ا صلى ا عليه وسلّم بفناء بيته جالس إذ مر به عثمان بن مظعون فكشّر إلى رسول ا فقال له رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [ألا تجلس ؟ فقال : بلى قال : فجلس رسول ا صلى ا عليه وسلّم مستقبلة فبينما هو يحدثه إذ شخص رسول ا صلى ا عليه وسلّم ببصره إلى السماء فنظر ساعة إلى السماء فأخذ يضع بصره حتى وضعه على يمينه في الأرض فتحرف رسول ا صلى ا عليه وسلّم عن جليسه عثمان إلى حيث وضع بصره فأخذ ينغص رأسه كأنه يستفقه ما يقال له وابن مظعون ينظر فلما قضى حاجته واستفقه ما يقال له شخص بصر رسول ا صلى ا عليه وسلّم إلى السماء كما شخص أول مرة فأتبعه بصره حتى تواری إلى السماء فأقبل إلى عثمان بجلسته الأولى فقال : يا محمد فيما كنت أجالسك ما رأيتك تفعل كفعلك الغداة فقال : [وما رأيتني فعلت ؟] قال : رأيتك شخص بصرك إلى السماء ثم وضعته حيث وضعته على يمينك فتحرفت إليه وتركتني فأخذت تنغص رأسك كأنك تستفقه شيئا يقال لك قال : [وفطنت لذلك ؟] فقال عثمان : نعم قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [أتاني رسول ا آنفا وأنت جالس] قال : رسول ا ؟ قال [نعم] قال : فما قال لك ؟ قال : { إن ا ﻻ يأمر بالعدل والإحسان } الآية قال عثمان : فذلك حين استقر الإيمان في قلبي وأحببت محمدا صلى ا عليه وسلّم إسناد جيد متصل حسن قد بين فيه السماع المتصل ورواه ابن أبي حاتم من حديث عبد الحميد بن بهرام مختصرا حديث آخر عن عثمان بن أبي العاص الثقفي في ذلك قال الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر حدثنا هريم عن ليث عن شهر بن حوشب عن عثمان بن أبي العاص قال : كنت عند رسول ا صلى ا عليه وسلّم جالسا إذ شخص بصره فقال : [أتاني جبريل فأمرني أن أصع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة { إن ا ﻻ يأمر بالعدل والإحسان } الآية وهذا إسناد لا بأس به ولعله عند شهر بن حوشب من الوجهين وا أعلم